المحاضرة رقم (03) العلاقات الخارجية للجزائر في العهد العثماني ومكانتها الدولية: كيف كانت علاقات الجزائر مع الدولة العثمانية ؟ وماهي اهم التطورات التي عرفتها ؟ وكيف كانت علاقاتها مع كل من تونس والمغرب ؟

01. العلاقات الدولية للجزائر مع الدولة العثمانية: بدأت ،منذ وصول العثمانيين إلى الحوض الغربي للمتوسط، وتحديدا منذ وصول الإخوة بربروس إلى المدن الساحلية للمغرب الأوسط، وبدأت العلاقات الرسمية في سنة 1519م بارتباط الجزائر بالدولة العثمانية. وبالرغم من أنّ الجزائر ظلت إيالة عثمانية طيلة الفترة (1519- 1830). فمنذ أن ارتبطت الجزائر بالخلافة العثمانية في سنة 1519م ،وأصبحت إيالة عثمانية في شمال أفريقيا ،حكمها البيلربايات وهم من رياس البحر العثمانيين، وتعاقب على حكمها بعد ذلك الباشوات وأغوات الانكشارية، وقد كانت العلاقات العثمانية الجزائرية خلال هذه المراحل الثلاث مرتبطة فعلا بطبيعة نظام الحكم ،أو من يحكم في الجزائر باسم السلطان العثماني. ومدى قيام هؤلاء الحكام بتنفيذ أوامر السلطان داخل الإيالة الجزائرية. ولكن بعد فشل نظام الأغوات، ظهر رياس البحر مجددا على ساحة الحكم في الجزائر،الذين قاموا بتغيير نظام الحكم والذي عرف بنظام الدايات ،وبذلك تغيرت معه علاقة الجزائر بالدولة العثمانية، ولم يتنكر الدّايات لسيادة السلطان العثماني،مادامت السيادة اسمية لا تقيد حريتهم في التصرف .فقد كان الأمر يقتصر على أن يرسل الداي سفيرا يبلغ السلطان انتخابه لهذا المنصب ،ويتلقى منه قفطان الشرف ،وفرمانا بتسميته باشا. كما كان الدايات يرسلون وفودا للتهنئة لدى تولي سلطان جديد ،والسلاطين يقبلون بالأمر الواقع ،ما داموا لا يملكون القوة اللازمة لفرض كلمتهم. واشتركت الجزائر في حروب الدولة العثمانية. مثل: الحرب العثمانية الروسية لما أرسلت الجزائر قوة بحرية،وفي مقابل ذلك الجزائر تلقت جنودا انكشاريين ومعونات مالية من الدولة العثمانية ؛لتقوية البحرية الجزائرية .و ظلت الروابط الروحية بين الجزائر والدولة العثمانية مستمرة إلى غاية سقوطها على يد الاستعمار الفرنسي في سنة 1830م.

02. العلاقات الدولية للجزائر مع الدولة الفرنسية: قبل أن ندرس هذه الفترة علينا أن نكون مطلعين على جذور العلاقات التاريخية الفرنسية الجزائرية قبل سنة 1830م ،بيد أن فرنسا سعت دوما إلي ربط علاقات ديبلوماسية بالجزائر من خلال اتفاقيات ومعاهدات وتحالفات عسكرية أحيانا وذلك منذ مطلع القرن 16م، ولعل طبيعة تلك العلاقة التي عمل عليها الاستعمار لم تكن لتبني جسرا بين البلدين يسوده التعاون والصداقة بقدر ما تطلع ليكون له موضع قدم في البلاد بأي شكل كان، فالحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م لم تكن الأولى بل سبقتها محاولات عديدة باءت كلها بالفشل. لذلك بنت علاقة مع الجزائر حتى تنتهي بموجبها إلي تحالف عسكري، فقد أبرمت فرنسا معاهدة دفاعية، بمقتضاها استنجد الملك الفرنسي" فرانسوا الأول(1515م 1547م)، بالقوات البحرية الجزائرية مرتين لتحرير مرسيليا من الثوار الهجينوت البروستانت عام 1536م ومن اعتداءات شارلكان الإسباني. إلا أنّ هذا التحالف العسكري جعلت منه فرنسا مطية نحو الجزائر حيث تجاوزت علاقاتها الاقتصادية والعسكرية لتتحول مؤسستها التجارية بمينائي القالة وعنابة إلى قاعدة بداية احتلال عسكرية نصبت حولها المدافع وصار حصن فرنسا حقيقي لكن قام الجزائريون باسترجاعه عام 1568م ،ولم تسترجع فرنسا هذا الحصن إلا بعد مفاوضات مع الخلافة العثمانية والدولة الجزائرية، ولم يتوقف الأمر عند هذا وحسب بل أعادت فرنسا الكرة عدة مرات أخرى لما علمت في الجزائر من عمق **استراتيجي وعقائدي** لا يمكن الكف والاستغناء عنه. فمنذ النصف الثاني من القرن السابع عشر اتضحت نوايا فرنسا الاحتلالية للجزائر فكانت تارة من مدينة القل عام 1663م وتارة أخرى على مدينة جيجل عام 1664م، حيث تكبدت هذه الحملة ما يزيد على 1400 قتيل وجريح، وكان مآلها الفشل.

03. العلاقات الدولية للجزائر مع الدولة الانجليزية: فقد تميزت مع بداية حكم الدايات بالإستقرار حيث فرضت البحرية الإنجليزية قوتها على الجزائر، بأن تلتزم بمعاهداتها معها وحافظ الإنجليز على هذا السلام عن طريق إستعراض قوتهم أحياناً قبالة السواحل الجزائرية، ويعتبر هذا السلام بمثابة الحصانة الجزائرية وكان لإنجلترا قناصل في الجزائر منذ القرن (17)، وأصبح هؤلاء القناصل شبه سفراء خاصة عندما توسعت الهيئة القنصلية وشملت دول أروبية صغيرة إلى جانب فرنسا وإنجلترا وهولندا. تطورت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين حتى أصبح الداي يختار القنصل الإنجليزي الجديد عندما يموت القنصل السابق أثناء أداء خدمته، وكانت حكومة لندن في الواقع قبلت عدة مناسبات لإختيار الداي . نمت العلاقات بين الجزائر وإنجلترا واستطاعت إنجلترا أن تبرم العديد من المعاهدات بلغت27 معاهدة، إستغلت بريطانيا تعكر العلاقات

الجزائرية الفرنسية أحسن إستغلال حيث وطدت علاقاتها مع حكام الجزائر ومن مظاهر التقارب الجزائري البريطاني تلك الرسالة التي بعث بها ولي عهد إنجلترا إلى الداي الحاج علي سنة 1812م مؤكداً له فيها أنه طالما إستمرت الصداقة بين البلدين فإنّ إنجلترا سوف تحمي عاصمة الجزائر من أي عدوان خارجي. وانحصرت علاقة الجزائر مع إنجلترا في المجال التجاري، إذ حرص القناصل الإنجليز في الجزائر على نيل نفس الإمتيازات التي كان يحظى بها الفرنسيون. وبعد سقوط نابليون 1815 م تحولت السياسة الأوربية نحو إعادة التوازن الدولي وهذا ماجعل الجزائر في مواجهة مفتوحة مع غالبية الدول خاصة بريطانيا التي شنت هجوم بحري على الجزائر .26 - 30 أوت 1816م شاركت فيه 25 قطعة بحربة منها بعض السفن الهولندية وقد تولى قيادة الأسطول اللورد إكسموث، فنجح في تجنب بطاريات مرسى الجزائر عند ما أظهر رغبته في التفاوض مع الداي إنجلترا في المجال التجاري، إذ حرص القناصل الإنجليز في الجزائر على نيل نفس الامتيازات التي كان يحظى بها الفرنسيون، وقد أصدر عمر باشا تعليمات بشأن الرابطة البحرية الأوربية كما بادرت السفن الإنجليزية التي تسللت إلى ميناء الجزائر بإطلاق النار على أسطول الجزائر. وأعاد الإنجليز الكرة مرة ثانية في يوم 24 .7. 1824 م وشنوا حملة عسكرية ضخمة ضد الجزائر وفي هذه المرة وجدوا مقاومة كبيرة من طرف الجزائريين الذين لم يستسلموا ،و قاموا برد الهجوم ولم يبق في المدينة سوى الجنود العسكريين الذين صمدوا ووقفوا في وجه المدافع الإنجليزية وأرغموا الإنجليز على الإنسحاب من ميدان المعركة.

04. العلاقات الدولية للجزائر مع الدولة الاسبانية: دخلت إسبانيا في عداء دائم وحروب مع الجزائر حتي أواخر القرن 18م، بسبب سيطرت الأسبان على مدينة وهران حتى عام 1792م، حيث قاموا بثلاث حملات عسكرية بحرية على مدينة الجزائر بغية إحتلالها وكانت الحملة الأولى بقيادة الجنرال أوريلي، قام بالهجوم على مدينة الجزائر في 31 جويلية 1775م وأستمرت الحملة 11 يوماً وإنتهت في الأخير بفشل ذريع وتعرضت القوات الإسبانية لهزيمة نكراء وساحقة على يد الجزائريين . وأجبرت إسبانيا على الرضوخ خاصة بعد إدراكها إستحالة هزيمة الجزائر لذلك سعت لدى الدولة العثمانية لإقناع الداي عثمان باشا بقبول التفاوض لإبرام الصلح ولكن الداي رفض ذلك جملة وتفصيلاً رغم الحاح الأسبان والدولة العثمانية ولم تجد إسبانيا يدا سوى العودة إلى إستعمال القوة العسكرية فقامت بشن حملة عسكرية ثانية على مدينة الجزائر سنة 1783 م تحت قيادة دوانطونيو الذي وصل بقواته إلى ميناء الجزائر في مساء 31 جويلية 1783م . لكنه فشل مما أضطر الأسبان إلي إقرار إتفاق هدنة في14/ 06/ 1786م سمح بتحسين العلاقة بينهما والحصول على تعويضات عن الخسائر قدرت ب 291.800 قرش إسباني والانسحاب عن وهران والمرسى الكبير . وما نستخلصه من خلال دراستنا لهذا المبحث: 1-أنّ علاقة الجزائر بالدول الأوروبية في عهد الدايات غلب عليها طابع العداء والتوتر بسبب القضايا التي ترتبت عن الغنائم والإتاوات والقرصنة والأسرى. 2-أنّ الدولة الجزائرية واجهت الحملات الأروبية دون أن تتلقى أي مساعدة فعلية أو عسكرية من طرف الدولة العثمانية. 3-عرفت البلاد في المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني إستكمال تحرير البلاد من الإحتلال الإسباني .

05. العلاقات الدولية للجزائر مع الدولة التونسية: تعود إلى فترات تاريخية متقدمة ،لا يمكن فصلها عن بعضها ،بسبب التجاور بين الطرفين. أما خلال العصر الحديث فيمكن بدؤها من القرن 16م ،أي منذ ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية فقد قامت الجزائر بعدة محاولات للقضاء على الدولة الحفصية المتواجدة في تونس خلال القرن 16م ،خلال سنة 1534م في عهد خير الدين بربروس وفي سنة 1569م في عهد علج علي ، وفي سنة 1574م نجحت الجزائر بمساعدة قوات عثمانية في إخضاع تونس للدولة العثمانية ،وظلت إيالة تونس تابعة لإيالة الجزائر خلال الفترة 1574- 1587.حيث استقلت تونس وأصبحت باشوية تابعة مباشرة للسلطان العثماني. ولكن حكام الجزائر لم يكفوا عن محاولة التدخل في شؤون تونس ،كلما سنحت لهم الفرصة طيلة القرنين 16م و 17م. وكانت مشكلة الحدود دائما السبب الرئيسي في الصراع بين الطرفين. ومع مطلع القرن (18) زحف الداي مصطفى باتجاه تونس في سنة 1705م ،فاستولى على مدينة الكاف ونهبها ،ثم توجه إلى تونس العاصمة فحاصرها خاف التونسيون على بلادهم فعرضوا الصلح على الداي مصطفى مقابل مبلغ من المال ،لكنه رفض لذلك قرر التونسيون الدفاع عن بلادهم،وفي هذه الأثناء هاجم الفرنسيون الجزائر فاضطر الداي مصطفى للتفاوض،لكن التونسيين رفضوا دفع الأموال فاستمر الجزائريون في فرض الحصار على تونس ،لكنهم اضطروا للانسحاب وفي طريق العودة بدأ التونسيون في مهاجمة الجيش الجزائري ،الذي تعرض لخسائر كبيرة . وفي سنة 1735م تدخل داي الجزائر مرة أخرى في شؤون تونس،بعد أن فر علي

باشا إلى الجزائر واستعان بدايها ضد عمه حسين بن علي ،الذي قتل سنة 1740م ،ونصب علي باشا الذي تنكر لداي الجزائر ،وامتنع عن دفع الضريبة له ،مما أدى إلى قطع العلاقات بينهما. وفي سنة 1746م تحركت حملة من الجزائر باتجاه تونس من أجل إعادة أبناء حسين بن علي للحكم ،بعد أن استنجدوا بداي الجزائر ،لكن الحملة فشلت أمام أسوار مدينة الكاف. وفي سنة 1756م جاءت الحملة الثانية على تونس ،فتم إبعاد علي باشا عن الحكم وأعاد الجزائريون أبناء حسين بن علي للسلطة ،ونهبت مدينتي الكاف وتونس ،واعترف علي باي بالتبعية للجزائر ،ودفع الضريبة السنوية. واستمرت تبعية تونس للجزائر ففي سنة 1781م فرض داي الجزائر على باي التونسي دفع مبلغ 750000ريال، ولكنه دفع منها 200000 ريال فقط، ووجب عليه إرسال كميات من الزيت للجزائر، قدرت بحمولتين بحريتين. وقد استمر حمودة باشا الحسيني في مهادنة داي الجزائر،لكن العلاقات تأزمت بين الجزائر وتونس مع بداية القرن (19) ،فقد قاد الجزائريون حملة ضد تونس في سنة 1800م هزم فيها الجيش التونسي ،ثم حملة أخرى في سنة 1807 م عندما امتنع حمودة باشا عن دفع الضريبة السنوية، وكانت خسائر التونسيين كبيرة ،ولم تتمكن تونس من التحرر من سيطرة دايات الجزائر ،إلا بعد الحملة الثانية في سنة1807م. وبذلك بيكن القول أن العلاقات بين الجزائر ،وتونس تنوعت خلال العصر الحديث ،وشهدت تطورات مختلفة. ميزتها الصراع بين الطرفين من أجل التبعية ،فقد ظلت تونس تابعة للجزائر طيلة هذه الفترة ولم تتحرر إلا بعد ضعف الجزائر مع بداية القرن (19).

06. العلاقات الدولية للجزائر مع الدولة المغربية: بعد سقوط تونس في أيدي العثمانيين بعد أن بسطو نفوذهم على الجزائر دفعهم هذا التفكير في بسط نفوذهم أيضا على المغرب منتهزين الخلاقات التي كانت بين أفراد الأسرة السعدية، وكان المغرب يواجه أيضا الأطماع البرتغالية. فانتهز الأتراك دعوة السعديين للقضاء على مراكز الاحتلال الأجنبي لبلاد المغرب الأقصى لكن خلاف نشب في أوائل عهد الأسرة السعدية عندما تقدمت جيوش محمد الشيخ السعدي وسيطرت على تلمسان 1550م، لكن الأتراك انتهزوا فرصه طلب أبي حسون الوطاسي لاستعادة ملكه من أيدي السعديين واستعداده لضم المغرب تحت السيادة التركية لكن ذلك لم يدم، إذ قامت ثورة شعبية خلعت السلطان ال وطاسي وطردت الأتراك وتعرض محمد الشيخ للاغتيال وأدى ذلك لزيادة العداوة بينهما فاضطر ابنه لمهادنة الاروبيين، وفي سنة 1571م، حدث تطور عندما انكسر الأسطول العثماني أمام أساطيل أوروبا واسبانيا في معركة لبانت ومنذ ذلك لم يعد العثمانيون يفكرون في إضافة حلقة أخرى في سلسلة إمبراطوريتهم . لكن الأتراك استضافوا أعداء الغالب من البيت السعدي أمثال عبد الملك وعبد المؤمن واحمد المنصور عندما اتصلا هؤلاء بالسلطان العثماني فأحالهما إلي حكام الجزائر لمساعدة عبد المالك في استرجاع ملكه بفاس وانهزام المتوكل أمام القوات العثمانية في معركة واد المخازن سنة 1578. وانتصاره على البرتغال، ،وسعت الدول الأوربية إلى التقرب من المنصور السعدي وعقد الاتفاقيات معه ،وبذلك اعترف العثمانيون باستقلال المغرب ،وتوقفوا عن محاولات ضمه ،بالرغم من أن المشاريع التي كانت مسطرة عن طريق حكام الجزائر كحملة سنة 1581 م في عهد العلج علي ،ورغم اتفاق السلام بين الدولة العثمانية والمنصور السعدي في سنة 1582 م بين الطرفين ،إلا أن مشاريع غزو المغرب ظلت موجودة في عهد حسن فنزيانو حاكم الجزائر للمرة الثانية في سنة1583 م، الذي كان ميالا للتدخل في المغرب، ولم يتحقق السلام الراسخ بين الطرفين إلا بعد رحيل حسن فنزيانو عن حكم الجزائر في سنة 1587 م ،وتم توقيع السلام بين الطرفين في سنة 1588 م ،وبذلك اعترفت الدولة العثمانية ومن ورائها حكام الجزائر باستقلال المغرب الأقصى عن نفوذهم. ومع بداية القرن الثامن عشر توترت العلاقات بين الجزائر والمغرب في عهد المولى إسماعيل، فقد تحالف مع باي تونس مراد بك ،والذين اشتركوا في حملة ضد الجزائر وهزموا باي قسنطينة في عهد مصطفى داي في سنة 1700. فقد كان مولاي إسماعيل يميل إلى التحالف مع التونسيين ضد الجزائر بهدف ضم تلمسان إلى ملكه. في حين تحسنت العلاقات بين الطرفين في عهد مولاي سليمان 1822 1792م ،واستمرت العلاقات حسنة بين الجزائر والمغرب في عهد مولاي عبد الرحمان الذي احتلت الجزائر في عهده. وبذلك انتهت في سنة 1830 م مرحلة من العلاقات بين الجزائر والمغرب والتي غلب عليها التوتر في معظمها.